شفاء الصدور
بنكتة تقديم الرحيم على الغفور

تأليف العلامة المجتهد
محمد بن إسماعيل الأمير

تحقيق وتعليق
أبي محمَّد عبد الله بن أحمد بن لَـمْــح الخولانـي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ولم يجعل له عوجا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها من كلِّ كرْب فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله شهادة أرجو بها أن يكون شفيعي غدا، صلى الله عليه وآله وسلم وصحبه ومن اهتدى.

أمَّا بعد:

فقد ورد اقتران اسم (الغفور) باسم (الرحيم) في القرآن الكريم مرفوعين غير متصلين بـ (أل) (غفورٌ رحيمٌ): في (٤٩) موضعًا، وورد اقترانهما محليين بـ (أل) (الغفور الرحيم): في (٧) مواضع، وورد اقترانهما منصوبين (غفورًا رحيمًا): في (١٥)، المجموع = (٧١) موضعًا، كلها بتقديم الغفور على الرحيم.

وانفرد تقديم اسم (الرحيم) قبل (الغفور) في موضع واحد من القرآن الكريم، في سورة (سبأ).

ولهذا فقد اعتنى العلماءُ من المفسرين وغيرهم ببيان الحكمة من خروج هذا الموضع عن نظائره، وفائدة ذلك وسِرِّه، وكل أدلى بدلوه.

وقد وُجِّه إلى العلامة الصنعاني رحمه الله سؤال عن هذا فأجاب بما زبره في هذه الرسالة الصغيرة في حجمها العظيمة في معناها.

فدونك جواب هذا العلامة النحرير، فقل أن يوجد له نظير، في حسن العبارة وجودة التحرير.

والله الموفق إلى الصواب، وإليه المرجع والمآب.

كتبه: أبو محمد ابن لمح - ١٤٢٩ من الهجرة.

بيانات المخطوط

المخطوط من دار المخطوطات ، صنعاء.

مجموع رقم (٣٣٧١).

ويقع المخطوط في لوح واحد = صفحتان .

نماذج المخطوط

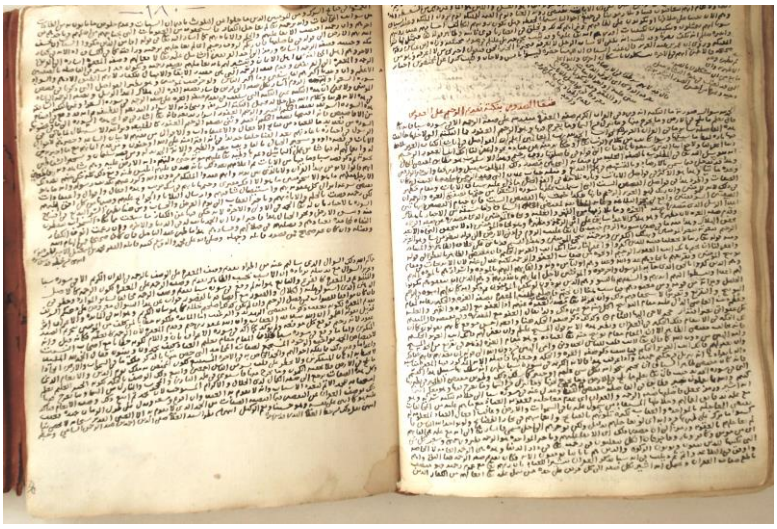

صورة المخطوط

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[السؤال]

الحمد لله. سؤال صورتُه: ما النكتة[١] أنه ورد في القرآن الكريم صفة المغفرة مقدَّمة على صفة الرحمة، إلَّا في سورة (سبأ)[٢]، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سبأ/ ٢]، فما النكتة التي لأجلها خالفت هذه الفاصلة سائر ما في القرآن العزيز.

---

(١) النكتة: هي مسألة لطيفة أُخرجت بدقَّة نظر وإمعان، من: نكت رمحَه بأرض، إذا أثر فيها، وسُميت المسألة الدقيقة: نكتة، لتأثير الخواطر في استنباطها». «التعريفات» (١٩٥).

والعلماء يؤلِّفون في أنواع العلوم (نكتا) إما ابتداء وإما على بعض المصنفات، وممن صنف في «نكت القرآن»: أبو الحسن علي بن فضال المجاشعي المتوفي سنة (٤٧٩) كتابه: «النكت في القرآن الكريم» أو «نكت المعاني على آيات المثاني» كما على طرته، مطبوع في مجلدين.

(٢) فائدة: (سبأ) لقب للجد الجامع لعموم القبائل اليمنية، والمراد في السُّورة: القبيلة التي من أولاد سَبأ، وقد سُميت عدة أماكن في اليمن باسم: (سبأ) كما في «معجم البلدان اليمنية» (١/ ٧٦٦).

قال الشوكاني: «وهذه المساكن التي كانت لهم هي: التي يقال لها الآن: مأرب، وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال». «فتح القدير» (٤/ ٤٢٢)، وقد أوردَ ابن كثير في «تفسيره» حديثًا من طرق وحسَّنه، قال ـ بعد سرد طرقه ـ: فقوي هذا الحديث وحُسِّن». من حديث ابن عباس أنَّ النبي ﷺ سُئل عن سبأ ما هو؟ أرجل أم امرأة أم أرض؟ فقال: «**بل هو رجل ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة فأما اليمانيون فمذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير عَرَبًا كلها، وأما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان**» أخرجه أحمد (١/ ٣١٦/ ٢٨٩٨)، وله شاهد عند أحمد (٣٩/ ٥٢٨ وبعد)، وأبي داود (٣٩٨٨)، والترمذي (٣٢٢٢)، وفيه: «تيامَن ستة، وتشاءم أربعة».

الجواب

الحمد لله رب العالمين.

اعلم أنَّ الفواصل[١] في آيات القرآن الكتاب العزيز يُلاحظ فيها تارة لفظ ما سبقها[٢]، وسواء كانت من كلام الرب تعالى، أو حكاية منه عن عباده نحو: ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون/١٠٩] ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر:١٠] إلى قوله في فاصلتها: ﴿رَءُوفٌ رَحِيم﴾، وهذا الأسلوب هو مطابق لمقتضى الحال أنْ يتوسّل [إلى] الله تعالى في المطلوب بالصِّفة العلية من صفاته التي تبين قصْد ذلك المطلوب مثل: ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِين﴾ [المائدة:١١٤]، وهذا قد يدخل تحت ما يسمى بالإرصاد[٣]، وبالتسهيم[٤] في «علم البديع»[٥]، ومثله: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ

---

(١) الفاصلة: كلمة آخر الآية، كالقافية في الشعر، ومنهم من فرَّق فجعل كل رأس آية فاصلة ولا ينعكس، وأجمعوا على أنه لا يجوز تسمية أواخر الآيات: قافية، لأنَّ اللهَ تعالى سلَب اسم الشِّعر عنه، فوجب سَلْب اسم القافية أيضًا لاختصاصها به. انظر: «البرهان» (١/ ٥٣) للزركشي، و«الإتقان» (٢/ ٢٦٨) للسيوطي.

(٢) انظر لهذا: «البرهان» (١/ ٧٨)، و«الإتقان» (٢/ ٢٧٩).

(٣) الإرصاد من المحسّنات المعنوية، وهو أنْ يذكر قبل الفاصلة من الفقرة ما يدل عليها نحو قوله تعالى: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس﴾ فالسامع إذا وُقف على هذا وقد أحاط بما سبقها عَلِمَ أن بعدها: ﴿وقبل الغروب﴾، انظر: «جواهر البلاغة» (٣٩٤).

(٤) هو أن يدل أول الآية على آخرها، انظر: «الإتقان» (٢/ ٢٦٧).

(٥) البديع: لفظة كانت تُطلق على علوم البلاغة، ثم خُص بعلم مستقل من علوم البلاغة قيل فيه: «علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حُسنًا وطلاوةً وتكسوه بها رونقا بعد مطابقته لمقتضى الحال مع وضوح دلالته على المراد لفظا ومعنى». وفيه مصنفات كثيرة منها: «القول البديع في علم البديع»، و«علم البديع» عنوان لعدد من الدراسات المعاصرة، وانظر: «جواهر البلاغة» (٣٨٥).

بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ [مريم:٦١]، وهذا هو لأكثر في فواصل الآيات.

وتارة يُلاحظ في الفواصل : ما دلَّ عليه سياق الآيات ومقام مظهر الصفات(١)، واطَّرد هذا في فواصل القصص الست التي اشتملت عليها سورة (الشعراء) من ختمها بصفتي العزة والرحمة، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء/ ١٢١، ١٢٢]، فإنها هكذا ختمت بها القصص الست، فإن ختام القصص بهاتين الصفتين الرفيعتين واقع في محزّ البلاغة، وغاية المطابقة لمقتضى السياق، وما سبقه من الإخبار بإهلاك أعداء الرسل الذي مصدره صفة العزة وما يلازمها من القهر والغلبة، ونجاة المؤمنين الذي مصدره عن صفة (الرحمة)، وقُدِّم صفة العزة لأنَّ مظهرها ـ وهو هلاك الأعداء ـ سابق على أثر الرحمة ومظهرها ـ وهو نجاة المؤمنين ـ إذ لا تتحقق النجاة إلا بعد تحقّق الهلاك، وهذا مثل ما في صَدْر سورة الروم حيث قال تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سِنِينَ لله الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ الله يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم:٢-٥]، فبعزته ينصر المؤمنين، ويهلك الكافرين ، وبرحمته ينجي المؤمنين.

وهذا القسم قد يأتي على خلاف الظاهر والمتبادر(٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة:٥]، فإن مقتضى الظاهر بالنظر إلى قوله: ﴿ وَاغْفِرْ لَنَا﴾ أن تختم بـ : إنك أنت الغفور الرحيم، أو نحوه من صفات العفو والرحمة، لكنه عدل عنه لأن الآية جاءت في مقام توبيخ المؤمنين باتخاذهم عدوّ الله وعدوهم أولياء من دونه وإلقائهم إليهم

---

(١) يقال عن هذا : التمكين وهو: أن يمهّد قبلها تمهيدًا تأتي به الفاصلة ممكّنة في مكانها مطمئنة في موضعها، انظر: «البرهان» (١/ ٧٩)، و«الإتقان» (٢/ ٢٧٩).

(٢) انظر أمثلة على ذلك في : «البرهان» (١/ ٨٩ ـ ٩١)، و«الإتقان» (٢/ ٢٨٤).

بالمودَّة وإسرارهم بالمودة إليهم، وهم الذين كفروا بالحق الذي جاء به الرسول وأخرجوه والمؤمنين لأجل إيمانهم بالله ربهم، وهم الذين إن يثقفوهم يكونوا لهم أعداء ويبسطوا إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء، وهم الذين يودّون لو يكفر المؤمنون، ثمَّ ذكر أنه كان لهم أسوة في إبراهيم الخليل وبراءته من قومه ومن معبودهم، فيناسب هنا أن يختم فاصلة طلب المغفرة بصفة (العزة والحكمة) رعاية لمقام التوبيخ[١] والتقريع[٢] وتقريرًا لاستحقاقهم ذلك ، وأنّ بعزته تعالى قصد العفو عنهم إذ العفو مع العزة والقهر والغلبة وعِظَم دَين العاصي -الدال عليه مقام التوبيخ- أكمل منه مع غير ذلك، ولذا يقال: (العفو مع المقدرة).

وفي نقيضه قال المتنبي:

كـلُّ عفـوٍ أتـى بغـيْر اقتِـدَار حجـة لاجـئٌ إليهـا اللئـامُ[٣]

وكذلك ذكر صفة (الحكمة) هنا واقعة أحسن موقع كأنهم يقولون : كما أنَّ لك الحكمة في الانتقام فلك الحكمة في الغفران، ونظير هذه الآية قول المسيح عليه

---

(١) يقال على اللَّوم والتعذيل والتأنيب والتهديد، والمقصود هنا الأول، انظر: «معجم مقاييس اللغة» (١٠٨١) ط:الفكر، و«القاموس» (٢٦٢).

(٢) هو التعنيف والتثريب. «القاموس» (٧٥٠).

(٣) قال ابن القيم في «مدارج السالكين» (٢/ ٣١٠): وإذا انحرفْتَ عن خُلُق الحِلْم انحرفْت إما إلى الطيش والحدَّة، وإما إلى الذلّ والمهانة، ففرق بين مَن حِلْمه حِلْمُ ذلّ ومهانة وعجز، وبين من حِلْمه حلم اقتدار وعزة وشرف كما قيل..ثم أنشده.

ونسبه إلى المتنبي الحموي في«خزانة الأدب وغاية الأرب» (١/ ١٨٩)، وأنشد قبله:

ذل مـن يغـبط الـذليل بعـيش ربّ عـيش أخـفّ منـه الحُـمامُ

وبعده:

مـن يهـن يسـهل الهـوان عليـه مـا لجـرح بميـت إيـلام

السلام: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨]، فإنه مخالف مقتضى الظاهر(١)، إلا أن المقام مقام توبيخ منه تعالى لعباده ـ وهو مقام العزة ـ إذ هو في تقريع من اتخذ المسيح وأمه إلهين من دون الله كما قال تعالى : ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [المائدة:١١٦]، إلى قوله: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨]، فيناسبُ ذكر صفة العزة والحكمة وجَعْلهما فاصلةَ الآية المذكورُ فيها المغفرة: مناسبةً(٢) دالة بانفراده بها أنه

---

(١) قال الزركشي: «وذلك أن قوله ﴿وإن تغفر لهم﴾ يوهم أنَّ الفاصلة (الغفور الرحيم) وكذا نقلت عن مصحف أُبيّ رضي الله عنه وبها قرأ ابن شنبوذ، ولكن إذا أنعم النظر علم أنه يجب أن يكون الفاصلة ما عليه التلاوة؛ لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحدٌ يردُّ عليه حكمَه فهو (العزيز) أي الغالب، ووجب أن يوصف بالحكيم أيضًا لأنَّ الحكيم مَن يضع الشيء في محله، فالله تعالى كذلك إلا أنه قد يخفى وجه الحكمة في بعض أفعاله على بعض الضعفاء، فكان في الوصف بالحكيم احتراس حسن، أي: وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترَض عليك لأحد في ذلك بل الحكمة فيما فعلته». «البرهان» (١/ ٩١)، وانظر: «الإتقان» (٢/ ٢٨٤).

(٢) المناسبة في علوم القرآن تعني: «وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة.

قال الزركشي: «وفائدته: جعْل أجزاء الكلام بعضه آخذ بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء». قال: «وقد أفرده بالتصنيف أبو جعفر ابن الزبير». قلت: واسمه أحمد بن إبراهيم الأندلسي الحافظ المتوفي (٨٠٧)، واسم كتابه «البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن»، وممن ألف فيه: أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي المتوفي سنة (٨٨٥) كتابه «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور». قلت: وهذا الفن لا بأس به ما لم يكن متكلَّفًا، فإنْ ظهرت المناسبة دون تعسف قيل بها؛ على سبيل الاجتهاد الذي يقبل تارة ويرد أخرى، وأما التعسف لإظهار مناسبة كل آية بالتي قبلها أو بعدها فهو من التكلُّف المذموم، وقد بيَّن خلله عزُّ الدين بن عبد السلام ثمَّ الشوكاني رحمهما الله، انظر: «فتح القدير» (آية ٤٠ من سورة البقرة) فإنه تكلَّم على هذا بكلام لا نظير له في غيره. وانظر: «البرهان» (١/ ٣٥)، و«الإتقان» =

تنزيل من حكيم حميد.

وإذا عرفت هذا؛ فالآية الكريمة في (سورة سبأ) يظهر أنه سلك بها سبيل هذا القسم، فإنه كان مقتضى ظاهر السِّياق أن تُختم بنحو: (إنه بكل شيء عليم، أو خبير)، كما سلك ذلك، وطريق مقتضى الظاهر في نظيرها التي في سورة الحديد حيث قال تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد/ ٤] فطابق في الفاصلة مقتضى اللفظ وعدل عنه في سورة سبأ إلى خلافه **لنكتة سرية وهو:**

أنه أشار ورمز بجعْل فاصلتها صفة (الرحمة والغفران): إلى عدم معاجلته لعقوبة العباد مع ما هم عليه من المخالفات مع علمه بدقائق أعمالهم وجلائلها المستفاد من شمول علمه بما في السموات والأرض، وغالب أفعال العباد المعلومة له تقتضي المعاجلة بالمؤاخذة والعقاب، لكثرة تلوُّثهم بالقبائح وانغماسهم في بحار الفضائح : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [فاطر:٤٥]، أي لو يعاجلهم، بدليل: ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ فأشار تعالى إلى أنه مع علمه بمخالفاتهم لم يعاجلهم بالعقوبة، ورمَز إلى أنَّ مصدر ذلك -أي الإبقاء عليهم وتأخر المؤاخذة- هو الرحمة، نظير: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، أي من مؤمن وكافر، وبارّ وفاجر، فإنَّ الكلَّ يتقلَّبون في رحمته تعالى في دار الدنيا ، وهذه هي الرحمة العامَّة لا الخاصة التي يكتبها ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦] الآية ، فكان تقديم صفة الرحمة هنا أليق وأهم، وأوفق في البلاغة وأتم.

ثم ذُيِّلت في آية (سبأ) بذكر الغفران: يشير للعباد بأنَّ ربَّهم تعالى مع عموم رحمته

(٢/ ٢٩٩).

فهو متصفٌ بأبلغ صفات الغفران.

ويُحتمل: أنه أُشير بكلِّ صفةٍ إلى كلّ فريقٍ على حِدَةٍ ممن شمل علمُه تعالى أفعالَهم:

ـ من الكفار الذين [١ :أ] انغمسوا في قبائح الشرك.

ـ ومن المؤمنين الذين ما خلَوا عن التلوث بأدران السَّيئات، وعدم خُلوص ما يأتون من الطاعات من شوائب المخالفات.

وأنه برحمته تعالى لم يُعاجل الكفار بما يستحقّون من العقوبات التي تجتاحهم من أصلهم وتأخذهم عن آخرهم، وأنَّ رحمته اقتضَتْ الإبقاء عليهم والحلْم والأناة بهم كما أشار الله تعالى في قوله: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ [النحل:٤٥] إلى قوله في فاصلتها: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل:٤٧]، أي: لم يُعاجِلْهم برحمته ورأفته كما في «الكشاف»[(١)]، إذ الآية في كفار مكة.

وحينئذ صفة الرحمة إشارة ورمز إلى أحد الفريقين[(٢)] الشامل علمه تعالى لأفعالهم.

وصفة المغفرة إشارة إلى الفريق الآخر وهم أهل المخالفة من أهل الإيمان، وتُشير لهم بأنه: يعاملهم بصفة رحمته، ويكون هو السِّر في الفاصلة بالصفتين الرحمة والمغفرة إلى الفريقين.

---

(١) «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» (٢/ ٥٦٨)، وهو كتاب تفسير مشحون بالاعتزال والتأويل، تأليف: أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي، الحنفي المعتزلي، الملقب بجار الله، ولد فى رجب سنة ٤٦٧ هـ بزمخشر وهي قرية من قرى خوارزم، توفي ليلة عرفة سنة ٥٣٨هـ. انظر: «التفسير والمفسرون» (١/ ٤١٢).

(٢) أي فريقَا: العصاة السابقَين، فتكون صفة الرحمة إشارة إلى مَن عصيانهم كفر، والصفة الأخرى إشارة إلى مَن عصيانه دون الكفر.

وقدّم صفة الرحمة التي هي مصدر الإبقاء والإحسان للكفار: لأنهم الطبق الأدهم والسَّواد الأعظم ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف:١٠٢]، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣]، وهو نظير الفواصل التي ذكرنا في قصص سورة الشعراء وآية الروم، أشار بكلِّ صِفة إلى فريق.

فأشار بصفة العزة: إلى هلاك أعداء الرسل.

وبصفة الرحمة : إلى نجاة المؤمنين.

ولا يخفى أنَّ هذه النكتة غير النكتة التي سلَفت في تقديم صفة العزة على صفة الرحمة في (سورة الشعراء) وغيرها، فالنكتة السابقة في هذه الآية قريبة، وكلام الله جل جلاله محتمل النكتة الشريفة ومتجاذبة الأسرار البديعة اللطيفة.

ثم إنَّه قد وقع في افتتاح هذه السُّورة الشريفة بصفة (الحكيم الخبير) ، (والرحيم الغفور) : **أسرار بديعة** .

فإنه تعالى قد أشار في فواتح هذه السورة إلى ما في غضونها من الأقاصيص، فإنه افتتحها بصفة (الحكيم الخبير) وثنَّى بصفة (الرحيم الغفور): كالطليعة؛ مراعاة الاستهلال لما يأتي في السُّورة من تعديد ما للعباد من قبائح الأفعال والاعتقادات والأحوال:

١) مِن منْعهم لإتيان السَّاعة.

٢) وحصْرهم لأحوال الرسول في إخباره بإعادتهم بعد الفناء خلقًا جديدًا في أنه افتراء منه على الله أو جنون.

٣) ومِن عدم إيمانهم مع ما أخبر به من الآيات في:

ـ قصة داود ، وتسخير الجبال بالتأويب معه والطير، وإِلَانَة الحديد له.

ـ ومن قصة سليمان وتسخير الشياطين له فيما شاء من عمل التماثيل وغيرها، وطيِّه تعالى عليهم موته حتى دلتهم دابة الأرض عليه، وهم يشاهدونه قاطعين

بحياته.

ـ ثمَّ ذكرَ قصةَ (سبأ) وما فيها من الآيات.

ـ ثمَّ إعلامهم بعد ذلك بأنه ﴿صدَّق عليهم إبليس ظنه﴾[١].

ومع ذلك كله : حكى عنهم بعد ذلك أنهم قالوا: ﴿لا نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه﴾.

٤) وأنهم عبدوا الملائكة من دون الله.

٥) وكرر عنهم تكذيب رسوله، وأن ما هو إلا رجل مثلهم، وما هو إلا سحر مبين، ما هو إلا أمر مفترى، وختمها[٢] بأنهم في شك مريب.

وهذه أفعال وأقوال واعتقادات تقتضي سرعة كل عقوبة بهم، واستئصال شأفتهم، وإرسال البلايا والجوائح عليهم، وصبِّها مِن كل أفق، لكنَّ رحمته قضَتْ بالحِلْم والأناة بهم وتأخير العقاب إلى يوم العرض والحساب.

ومِن هُنا يَظهر السرّ البديع من افتتاح السُّورة بالإخبار بأنَّ ﴿له تعالى الحمد في الأولى والآخرة﴾، لأنه حكى فيها عن الكفار ما سمعْت مما تكاد السموات يتفطَّرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا.

فأخبر أولًا أنَّ الحمد بأسره له في الدنيا والآخرة، وإن رَغِمت أنوفُ الكفار

---

(١) وذلك أنه ظن على الناس أنه إذا أغواهم اتبعوه وأطاعوه على الغي كما قال الله عنه: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٦٢]، فكان الحال كما ظن، وفي هذه الآيات بعد أن ذكر الله تعالى قصة سبأ وما كان من أمرهم في اتباعهم الشيطان أخبر عنهم وعن أمثالهم ممن اتبع إبليس والهوى وخالف الرشاد والهدى فقال: ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه﴾ أي السابق فيهم، نسأل الله أن يسلمنا من إضلاله، وأن يعصمنا من إغوائه.

انظر: «تفسير ابن كثير» (١١/ ٢٨٠/ ط:أولاد الشيخ)، و«فتح القدير» (٤/ ٤٢٦).

(٢) أي سورة سبأ.

النفاة لمحامده بعبادتهم ...[١] في ضلالهم وفسادهم.

هذا ما ظهر عند التأمُّل ، فإن كان صحيحًا فمِن إلهام الله وفضْلِه، وإن كان غير صحيح فمِن قصور قائله وجهله!.

وصلى الله على محمد وآله.

كتبه قائله الفقير محمد بن إسماعيل الأمير

[انتهى من خطه قدس الله سرّه]

(١) كلمة غير واضحة.

تمّ التعليق على هذا الجزء، في عام ١٤٢٩ من الهجرة. ثمَّ قرأته وصحَّحت منه مواضع سابع أيام عيد الفطر المبارك عام ١٤٤١ من الهجرة. والحمد لله رب العالمين.

[تذييل]

تذييل[١] السيد العلامة صَفي الدين أحمد بن عبد الرحمن الشامي[٢].

حماكم الله.

ذلك السؤال الذي سُئلتم عنه ، مِن المراد بتقديم وصف المغفرة على الوصف بالرحمة في القرآن الكريم إلا في سورة سبأ. وتحرير السؤال مع تذييله بزيادة أنَّ الأنسب ـ بحسب الظاهر ـ تقديم وصْف الرَّحمة على المغفرة لكون الرحمة كالأصل والمتبوع، والمغفرة كالفرع والتابع هو: أنه لمَ وقع في سورة سبأ تقديم وصف الرحمة مخالفا لسائر الموارد؟.

وخطر في الذهن ـ الذي استولى عليه الكلال[٣] والفتور[٤] مع اتصافه بالقصور ـ جوابٌ عن هذا السُّؤال معروض على ذهنكم الشريف فإنْ كان موافقًا للصَّواب

---

(١) هذا التذييل موجود في آخر المخطوط ـ بنفس الخط ـ عقب جواب الأمير. وقد خاطب به العلامة الصنعاني، وكتبه يعرضه عليه.

(٢) ولد تاسع شهر ذى الحجة سنة (١٠٩٥) وكان مِن أكابر علماء صنعاء، قرأ فى فنون العلم على مشايخها فبرع فى الآلات والفقه والحديث، وَلِـي القضاء في عهد المتوكّل ثم استمر على ذلك فى أيام ولده المنصور حتى مات، ثم استمر في ذلك في أيام الإمام المهدي، وقد ارتفعت درجتُه فى أيام المنصور ارتفاعا زائدًا حتى كان مقبول القول في الجليل والدقيق وصار أمر القضاء فى جميع جهات اليمن منوطًا به، وكان يصدع بالحق مع حُسن صناعته في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وله شهرة كبيرة وصَولة عظيمة في مملكة اليمن، وكان يُضرب بعقله ورصانته المثل، وله شغف بالعلم والتدريس، توفى رحمه الله يوم الأحد السادس والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة (١١٧٢)» انتهى من «البدر الطالع» (١/ ١٥٤) ط:دار الكتب.

(٣) أي الإعياء، كما في «القاموس» (١٠٥٣).

(٤) هو: التعب، يقال: فتر جسمه: لانت مفاصله وضعف.

فمن فضل الرحيم، وإن لم يكن كذلك أصلحتم خلَلَه كما هو شأن الكريم.

وهو : أنه في المائدة والأعراف آثر تقديم المغفرة لكونه يعقب ما يقتضي التهديد والترغيب.

أمَّا المائدة فلكونه خطابًا لمن كُلِّف من المؤمنين بتحريم الصَّيد فذيل بقوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ الله غَفُورٌ رَحِيم﴾ [المائدة:٩٨]، وقدَّم المغفرة لأن الرحمة كالعلَّة فكأنه قيل: وإنه غفور لأنه رحيم، فوقعَ كلٌّ موقعَه، ولم يؤكد كما أكد في سورة الأعراف بـ (أنْ واللام) لكونه خطابا مع أصحاب السبت المنْكرين.

وأمَّا مَا وقع في سورة سبأ فلأنَّ المقام مقام تعليم العباد كيف يحمدون ويثنون فقال: ﴿الْحَمْدُ لله﴾ المفيد لاختصاص الحمد بواجب الوجود[١]، المستجمع لصفات المحامد التي خص منها بالذكر : ملْك ما في السموات والأرض إيجادًا وإعدامًا وغير ذلك مما يملكه أحوالهم، والحمد الخاص به في الآخرة ...[٢] لكون المختص به ملك يوم الدين، والإنعام الذي لا يحيط به أذهان المتفكرين، ولا يخطر على قلب بشر من الناس أجمعين، وأتبع ذلك الوصف بـ(الحكمة) لكون الحق العليم يعلم ما يلج في الأرض فلا تخفيه ...[٣] وما تخرج منها فاستوى في علمه البادي والمحجوب، والنازل من السماء وما يعرج فيها، وكل هذه الصفات ترجع إلى صفة الكمال لذي الجلال والإكرام.

ثم أتبع ذلك وصف الإنعام فتأكد استحقاقه للحمد الأتم لتعدد الأسباب ،وأنه

(١) هو الذي يكون وجوده من ذاته ولا يحتاج إلى شيء أصلا اهـ من «التعريفات» (١٩٩)، ويكثر إطلاقه في كتب العقائد على رب العزة والجلال سبحانه، في مقابلة إطلاق: ممكن الوجود في حق المخلوق، وفي إطلاق هذا التعبير على الرب سبحانه تفصيل مهم، انظر له: «منهاج السنة النبوية» (٢/ ١٣١).

(٢) كلمة غير واضحة.

(٣) كلمة غير واضحة.

لا يقوم به العبد، وإن أفرغ وسعه وبذل على طول الزمان حمده، فعقَّب ذلك بوصف (الغفران) عن النقص فيما اقتضته الصفات من الحمد الذي لا يقوم به إلا الحي القيوم سبحانه، لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

انتهى نظر السيد العلامة صفي الدين أحمد بن عبد الرحمن الشامي وخطه.

انتهى نقل ذلك مِن خط العلامة البدر قدس سره .

فصل: كلام البقاعي في «نظم الدرر» حول هذه الآية

قال البقاعي رحمه الله[١]: «ولما كان الحاصل مِن هذا المتقدم أنه رب كل شيء:

ـ وكان الرب لا تنتظم ربوبيته إلا بالرفق والإصلاح.

ـ وكان ربما ظنَّ جاهلٌ أنه لا يعلم أعمال الخلائق لأنه لو علمها ما أقرَّ عليها.

أَعْلَمَ أنَّ رحمتَه سَبقت غضَبَه، ولذلك قدّم صفة الرحمة.

ـ ولأنَّه في سياق الحمْد، فناسبَ تقديم الوصْف الناظر إلى التكميل على الوصف النافي للنقص.

فقال: ﴿وهو﴾ أي والحال أنه وحده مع كثرة نِعمه المقيمة للأبدان ﴿الرحيم﴾ أي المُنْعِم بما ترضاه الإلهية من إنزال الكتب وإرسال الرسل لإقامة الأديان، ﴿الغفور﴾ أي المحاء للذنوب».

---

(١) «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (١٥/ ٤٤٣).

الفهرس

شفاء الصدور ٠
بنكتة تقديم الرحيم على الغفور ٠
مقدمة التحقيق ١
بيانات المخطوط ٢
نماذج المخطوط ٣
[السؤال] ٤
الجواب ٥
[تذييل] ١٤
فصل: كلام البقاعي في «نظم الدرر» حول هذه الآية ١٧
الفهرس ١٨